جامعة ديالى

كلية التربية الاساسية

قسم التاريخ

المحاضرة السابعة

محاضرات عصر الرسالة

م.د. أزهار غازي

٢٠١٥ م

١٤٣٦هـ

٩. معركة بدر:

واصل الرسول ﷺ سياسته القائمة على ممارسة الضغط على حرية قبيلة قريش في ارسال قوافلها التجارية الى بلاد الشام من خلال محاولة التعرض لها والاستيلاء عليها. لذا فانه بقي يترقب موعد عودة قافلة قريش التي كانت ذاهبة الى الشام حينما خرج في غزوة العشيرة للتعرض لها.

ويبدو أن حرص الرسول ﷺ على مهاجمة هذه القافلة التي كان يقودها ابو سفيان نابع من أنها كانت من أكبر قوافل قريش التجارية، فكانت تضم «الف بعير، وكانت فيها أموال عظام، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا، الاّ بعث به في العير، حتى ان المرأة لتبعث بالشيء التافه، فكان يقال. ان فيها لخمسين الف دينار»(٥٢).

ان نجاح المسلمين في الاستيلاء على هذه القافلة كان من شأنه ان يلحق ضربة قوية بقريش ويعوض المهاجرين عن اموالهم التي صادرتها ويساعد على تحسين أوضاعهم الاقتصادية بصورة واضحة. لذا فما كانت الأخبار تصل الى الرسول ﷺ بأن القافلة قد توجهت من بلاد الشام في طريق عودتها الى مكة حتى سارع الى حث المسلمين للخروج لمهاجمتها فقال: «هذه عير قريش فيها اموالهم، فأخرجوا اليها لعل اللّه ينفلكموها، فانتدب الناس فخف بعضهم، وثقل بعضهم»(٥٣).

وقد أشارت المصادر الى ان العامل الذي جعل بعض الصحابة يتثاقلون عن تلبية نداء الرسول ﷺ للمساهمة في هذه الغزوة أنهم «لم يظنوا أن رسول اللّه ﷺ يلقى حرباً»(٥٤)، وبخاصة وان القافلة لم تكن تتمتع بحراسة قوية اذ كان يصحبها «ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون»(٥٥). ومن ثم فان عملية الاستيلاء عليها ستكون سهلة للغاية.

غير ان هناك من الأدلة ما يوحي بأنه كان من جملة من تثاقلوا عن الخروج أناس لم يقتنعوا بجدوى هذه الغزوة أو أنهم خشوا من العواقب التي ستترتب عليها. يقول الواقدي «وأبطأ عن النبي ﷺ بشر كثير من أصحابه، كرهوا خروجه وكان فيه كلام كثير

(٥٢) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ٢٧.

(٥٣) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٦٠٧.

(٥٤) المصدر نفسه، ق ١، ص ٦٠٧، الواقدي: المغازي، ص ٢١.

(٥٥) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ٢٠ - ٢١.

وحين بلغت قريش أخبار تعرض قافلتها للخطر هبت لنجدتها ، وقالوا : « أيظن محمدٌ وأصحابه أن تكون كعير ابي الحضرمي ، كلا والله ليعلمن غير ذلك ، فكانوا بين رجلين ، اما خارج واما باعث مكانه رجلا ، وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد »(٦٢) . غير ان حماس بعض زعماء قريش للقتال فتر حينما وصلتهم رسالة من ابي سفيان تخبرهم بأن القافلة قد نجت ، ولم يعد ثمة حاجة لنجدتهم(٦٣) ، في الوقت الذي أصر فيه آخرون على القتال ، وكان أشدهم حماساً ابو جهل بن هشام الذي قال : « والله لا نرجع حتى نرد بدرا . ونقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، ومسيرنا وجمعنا . فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها »(٦٤) .

وهكذا فقد دب الانقسام في صفوف جيش المشركين فانسحب من بينهم بنو زهرة وبنو عدي ، وساهم بنو هاشم وهم مكرهون(٦٥) . كما ان بعض قادة المشركين من أمثال عتبة ابن ربيعة من بني عبد شمس وحكيم بن حزام من بني أسد قد ساروا الى القتال وهم غير راغبين فيه مجاراة لابي جهل(٦٦) . ومع ذلك فقد بلغ عدد أفراد جيش المشركين الذين توجه لقتال المسلمين حوالي تسعمائة وخمسين رجلاً(٦٧) ، اي ثلاثة أضعاف عدد أفراد جيش المسلمين.

حين بلغت اخبار تحرك جيش المشركين لمقاتلة المسلمين الرسول ﷺ وجد انه لم يعد امامه من خيار سوى الصمود والاستعداد لخوض المعركة الفاصلة مع مشركي مكة . ومع ذلك فقد جمع الناس الذين معه لاستشارتهم فيما يفعل لمواجهة الموقف فتحدث ابو بكر وعمر والمقداد بن عمرو فأبدوا حماسهم لمقاتلة المشركين . غير ان الرسول ﷺ كان ينظر الى الانصار ويقول « أشيروا ايها الناس ، وانما يريد الانصار ، وذلك انهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يارسول الله : انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ، فاذا وصلت الينا ، فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ

(٦٢) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٦٠٨ .

(٦٣) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٦١٨ .

(٦٤) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٦١٨ – ٦١٩ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٦١٩ – ٦٢٥ .

(٦٦) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٦٢٢ – ٦٢٣ .

(٦٧) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٦١٧ ؛ ابن سعد : الطبقات ، ج ٢ ، ص ١٤ .

الرواية الفئات التي كانت تتكون منها هذه القوة. ولكن دراسة عدد المهاجرين في المدينة خلال هذه الفترة يقودنا الى استنتاج أن أغلبية افراد هذه القوة كانت تتألف من الأنصار وذلك لأن عدد المهاجرين الذين آخى الرسول ﷺ بينهم وبين الأنصار في السنة الأولى للهجرة كان يتراوح بين الـ ٤٥ – ٥٠ مهاجراً حسب الروايات التي أوردها ابن هشام وابن سعد(٧٣). كما ان عدد المهاجرين الذين ساهموا في معركة بدر لم يتجاوز الـ ٨٣ رجلاً(٧٤).

٣. ذكر الواقدي وابن سعد أن الرسول ﷺ خرج في غزوة ذي العشيرة على رأس قوة مؤلفة من «خمسين ومائة، ويقال في مائتين من أصحابه»(٧٥). فلو صح هذا العدد فلابد أن يكون اكثر من نصفه من الأنصار في ضوء ماأوضحناه في الفقرة السابقة.

٤. ان تلبية الأنصار لدعوة الرسول ﷺ للاشتراك معه في مهاجمة قافلة قريش القادمة من الشام قبل معركة بدر بدون اثارة اية اعتراضات على مدى التزامهم بالقتال الى جانبه خارج مدينتهم، يدل على أن الأمر لم يكن جديداً عليهم وأنه قد جاء استمراراً وتصعيداً للعمليات السابقة، ومتفقاً مع ماتضمنته الصحيفة من أحكام عن تضامن أهل المدينة في أمور الحرب.

٥. أما القول بأن بيعة العقبة الثانية لم تتضمن سوى التزام أهل المدينة بالدفاع عن الرسول ﷺ ضد من دهمه في المدينة، فالحقيقة ان هذا الالتزام لايشكل الا الحد الأدنى، أما الحد الأقصى فهو محاربة الأحمر والأسود على حد تعبير أحد الأنصار. لذا فقد سميت هذه البيعة بيعة الحرب. كما أن قريشاً عاتبت الأنصار حينما علمت بأمر البيعة بقولها: «انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا»(٧٦)، مما يدل على ان قريشاً كانت تعد مبايعة الرسول ﷺ بمثابة اعلان الحرب عليها من قبل الأنصار. وهنا ينبغي ان يلاحظ أن قول الأنصار للرسول ﷺ بعد مبايعتهم له بأنهم غير مسؤولين عن حمايته حتى يصل الى ديارهم، لايعني أنهم غير مستعدين للقتال معه خارج المدينة وانما يعني أنه ليس بامكانهم القيام بالدفاع عنه وحمايته قبل ان يصل الى مدينتهم(٧٧).

(٧٣) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٥٠٤ – ٥٠٧؛ ابن سعد: الطبقات، ج ١، ص ٢٣٨.

(٧٤) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٦٠٧.

(٧٥) الواقدي: المغازي، ج ١، ص ١٢ – ١٣؛ ابن سعد: الطبقات، ج ٢، ص ٩.

(٧٦) ابن هشام: السيرة، ق ١، ص ٤٤٨.

(٧٧) لمزيد من التفاصيل، يراجع بحثنا المنوه على دور الأنصار في مغازي وسرايا الرسول ﷺ حتى غزوة بدر، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، بغداد، عدد ٣، سنة ١٩٨٧، ص ٢٧ – ٥٢.

في ضوء ذلك ، فقد تقدم الرسول ﷺ بقواته فنزل عند أدنى ماء من بدر. غير أن أحد الأنصار وهو الحباب بن المنذر بن الجموح اقترح على الرسول ﷺ تغيير هذا الموضع بقوله : «يارسول اللّه ، أرأيت هذا المنزل ، امنزلا انزلكه اللّه ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال : يارسول اللّه ، فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي ادنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القلب – أي الآبار – ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولايشربون ، فقال رسول اللّه ﷺ : لقد اشرت بالرأي» (٨٤) ثم قام بتنفيذه ، وبذلك حرم قريش من الوصول الى الماء ، مما وضعها في موقف صعب .

وبعد ان شرع الرسول ﷺ باعداد قواته للمعركة جاءه سعد بن معاذ فاقترح عليه ان يبنوا له عريشاً ليكون بمثابة مقر للقيادة بحيث تحاط بحراسة خاصة كي تكون بمأمن نسبي من المخاطر، فوافق الرسول ﷺ على المقترح وشيد له العريش (٨٥) . وهكذا أصبح المسلمون مهيئين لخوض المعركة .

أما على الجانب الآخر فقد عسكر جيش قريش ، وارسلوا شخصا ليستطلع لهم عدد المسلمين واحوالهم «فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع اليهم ، فقال ثلاث مائة رجل يزيدون قليلا او ينقصون ، ولكن امهلوني حتى انظر، اللقوم كمين او مدد؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئا ، فرجع اليهم فقال : ما وجدت شيئا ، ولكني قد رأيت يامعشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الاّ سيوفهم ، واللّه ما أرى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا أصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فروا رأيكم» (٨٦) .

لقد أثار هذا الوصف الخوف في نفس حكيم بن حزام ، أحد زعماء قريش من نتائج المعركة ، فكلّم عتبة بن ابي ربيعة في أمر الانصراف عن الحرب بعد ان نجت قافلة قريش ، فاقتنع عتبة بذلك ، وتوجه الى قومه لاقناعهم . غير ان اصرار ابي جهل على القتال ، وتحريضه لأخي عمرو بن الحضرمي للمطالبة بالثأر لأخيه الذي قتل في سرية نخلة ، قد افشل هذه المساعي السلمية وجعل قريشا تحزم أمرها على خوض المعركة (٨٧) .

---

(٨٤) المصنف ، ق ١ ، ص ٦٢٠ .
(٨٥) المصنف ، ق ١ ، ص ٦٢٠ – ٦٢١ .
(٨٦) المصنف ، ق ١ ، ص ٦٢٢ .
(٨٧) المصنف ، ق ١ ، ص ٦٢٢ – ٦٢٣ .

لقد بلغ عدد قتلى المشركين في هذه المعركة سبعين قتيلا وسبعين أسيراً ، في حين بلغ عدد شهداء المسلمين في المعركة أربعة عشر فقط ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار(٩٢) ، وقد كان بين قتلى قريش ابرز زعمائهم من رجال الملأ من امثال عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبي جهل بن هشام وأمية بن خلف ، وأبي البختري بن هشام ونبيه ومنبه ابني الحجاج وغيرهم (٩٣) .

لقد شعر المسلمون بالفخر والسرور نتيجة لهذا النصر الحاسم الذي حققوه على المشركين على الرغم من أن عددهم لم يكن يوازي سوى ثلث عدد المشركين. ومن الطريف أن أحد الأنصار وهو مسلمة بن سلامة قال للناس الذين خرجوا لتهنئة الرسول ﷺ بالنصر الذي أحرزه على مشركي مكة في بدر: «ماالذي تهنئوننا به؟ فوالله ان لقينا الاّ عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها. فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال : أي ابن أخي ، أولئك الملأ»(٩٤) – أي الاشراف والرؤساء– .

وقد ذكر الواقدي أن الرسول ﷺ استنكر هذا القول لأنه عده تقليلاً من قيمة النصر الكبير الذي حققه المسلمون على المشركين بفضل الله ومعونته. لذا فانه إجابه بقوله : «يابن أخي ، أولئك الملأ ، لو رأيتهم لهبتهم ، ولو أمروك لأطعتهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته ، وبئس القوم كانوا ذلك لنبيهم»(٩٥) .

وهكذا نلحظ أن القائد العظيم لا يبخس قيمة الرجال الآخرين ومكانتهم حتى لو كانوا من ألد أعدائه ، وهو يذكر لهم اقدارهم وهو في ذروة انتصاره عليهم .

ب. نتائج معركة بدر:

كانت معركة بدر من المعارك الفاصلة في تاريخ الاسلام ، وقد ترتب على انتصار المسلمين فيها نتائج متنوعة سواء على المستوى الاقتصادي او السياسي أو الاجتماعي او التشريعي. لذا فان فهم التطورات التي اعقبت هذه المعركة تتطلب دراسة النتائج التي نشأت عنها بصورة دقيقة .

---

(٩٢) ابن هشام : السيرة ، ق ١ ، ص (٦٠٧– ٦١٤).
(٩٣) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٦٤٦ .
(٩٤) المصدر نفسه ، ق ١ ، ص ٦٤٣ .
(٩٥) الواقدي : المغازي : ج ١ ، ص ١١٦ .